



إنهم يأكلون البذور

كان ذلك أحد صباحات مطلع ٢٠١٢. في النداء الأخير للحلم، أرى هؤلاء الأفارقة بملابسهم الزاهية ملتفين تحت شجرةٍ حول قليلٍ من البذور المختلفة الألوان يأكلونها من الأرض مباشرة. المشهد يبدو طبيعياً خاصة وأنهم بصحةٍ جيدة، إلى أن يأتي صوتٌ كأصوات المذيعين بطريقتهم المنمقة يتحدث عن مأساة هؤلاء الناس.

لا أنكر من كلامه المؤثر إلا جملةً واحدة مفادها: "نحن نأكل أنواعاً من الأطعمة أما هم فيأكلون البذور" .. بثّ كلامه فيّ مرارةً حقيقية وشعرت أن الألم على حالهم يعترضني حتى إنني استيقظت من النوم يعتريني ذلك الشعور.. دائماً تبدو الأشياء في الأحلام أكثر دراماتيكية من الواقع، وإلا فإنه لا غبار على أكل البذور.. ولكن.. من على الأرض، وبهذه الكمية الضئيلة؟

أخذت أفكر.. لماذا؟ ثم تذكرت شيئاً برر لي هذه الرؤيا؛ كنت قد نويت قبلها بأسابيع أن أتبرع بمبلغ من المال للصومال، ولكن لسببٍ ما تاهت تلك الفكرة وسط أشياء كثيرة فنُسيت..

ألقيت باللحاف وجلست أستعرض جدولتي لذلك اليوم. لا بد أن يكون الذهاب للتبرع من ضمنه.. ولكن هناك شيءٌ آخر لا بد أن أفعله.. ربما فوراً.

لا بد أن أرسم هذا المشهد، اسكتش سريع مهلهل معقن.. ولكن لا بد! لم أشعر قبلها بأنني أريد أن أرسم حلماً رأيته، مع أن به بشر وأنا أستحرم رسم المخلوقات.. سأصرف.. رغبة حمقاء بلا مبرر جيد..

أتمنى الرحمة حقاً لستيف جوبز وإن مات بوزياً.. لقد وفرت لنا إدارته أشياء تسهل الحياة.. وهكذا رسمت الحلم في ثواني..

في المساء جلست إلى أختي.. أخبرتها بذلك الحلم الغريب والصوت الذي يقول "إنهم يأكلون البذور" فقالت على الفور: "نعم، لقد شاهدت خبراً من أفريقيا عن مرور شحناتٍ من أكياس الحبوب، ثقت الطيور بعضها فانتثرت الحبوب فأخذ الأهالي يجمعونها من الأرض في أكفهم.."

د. خليفة

نشر بملحق الشرق الثقافي بتاريخ ٢٠١٤/٣/٩م